

## أخوة قايين، أخوة الجارة!!!

### الibas بحاني

#### مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

كيف لأصحاب الضمائر والكرامات من أهلنا غض الطرف والتعامي عن واقع الجريمة السورية البشعة التي ارتكبتا بحق لبنان تحت راية الأخوة والتنسيق يوم ٢٢ أيار من سنة ١٩٩١. فكما تحجرت أحاسيس ومشاعر قايين، ونهشت الغيرة المرضية المدمرة نفسه، وأعمى الطمع والأنانية عينيه، حتى فقد البصيرة فيه والإنسان، فقتل أخاه هابيل، هو هذا حال لبنان الراهن مع الجارة الجارية، التي لا تترك سانحة إلا وتحاول الانقضاض على كيانها والافتراس. وهي لا تدع يوماً يمر، دون أن تقترف بحقها وحق شعبة إثمياً أو مجزرة من مجازرها الموصوفة الشنعاء.

تدعي أخوة وطن الأرز، وما ضمرت أو أرادت له الخير مرة، ولا هي اعترفت يوماً باستقلاله وبحق وحرية شعبه في تقرير المصير. منذ انتهى الانتداب الفرنسي عن البلدين في بداية الأربعينات، ومدعوا الأخوة السوريون بمجملهم مستمرون دون انقطاع بث حقدهم الدفين وسعيهم الخسيس لزعة الكيان اللبناني وتقويضه، واقتلاع اللبنانيين من أرضهم، واستبدالهم بالطرائين.

قمة السفالة توجت بمرسوم التجنيس العاهر سنة ١٩٩٤، حيث وهبوا الجنسية اللبنانية دون وجه حق لمئات الآلاف من الفلسطينيين والسوريين وغيرهم، فاصبح وطننا مكباً لنفايات العرب. صدر الفرمان في سوريا فنسخ عندنا بحبر الكراهية والانتقام، وهذا بعض هرطقات البعث المصّر على جعل لبنان محافظة سورية باستبعاد اللبنانيين واستبعاد الأصائل.

منذ منتصف الستينات وسوريا البعث تشن على لبنان حرباً ضروساً متنوعاً الأشكال والأساليب تحت مختلف الوجوه والرايات، من الأصوليات والإثنيات والإيديولوجيات، إلى المذهبيات والقوميات وصعد... إلى أن قيضت لها الظروف الإقليمية والدولية سنة ١٩٩٠ الهيمنة الكاملة على لبنان وإسقاط حكومته الشرعية بقوة السلاح. تلا ذلك تعيينهم طاقماً طيعاً من المرتهنين المأجورين، الممسوخين، المجردين، من إنسانيتهم والوطنية والقيم.

بعد أن جالت الجارة وصالت من خلف واجهاتها، متقنة فنون الاعتقالات والخطف والتكيد والقتل. الاضطهاد والإفقار والتهجير، شنت حرباً طاحنة على مؤسسات ومقومات الوطن، وراحت تقضي عليهم بالتدريج. ختام مطاف إجرامها الأبشع جاء رزمة غليظة مغيظة من الاتفاقات فرضتها وسمتها زوراً وبهتاناً "اتفاقية الأخوة والتنسيق"!!!

عشرات الاتفاقيات هذه ليس بينها واحدة تتصف لبنان المجرور بجائرة "تجرّي" كل طلعة صبح فرمانات همايونية تعود لمصلحتها بالكامل. لم تبق على مجال واحد من مجالات الحياة اللبنانية العامة والخدماتية والمعيشية والتربوية والإعلامية إلا وربطتها بقايرتها الصدئة، فيما حزمة الاتفاقيات تنتفخ وتكبر باضطراد على حساب لقمة خبز وحرية لبنان واللبنانيين. والمستغرب أن مضمون الاتفاقيات لم يُنشر منه إلا القليل النذير، والأغرب تشريعها بالبصم والانصياع من قبل المجلس النيابي المُركب والمُعِين، وهو بعرف الناس والشرائع، لا يمثل إرادة اللبنانيين، ولا يتحسس مآسيهم، عينه النظام البعثي التيمورلنكي لتطبيق ممارسات أجدها التتر والمغول.

سوف نتذكر يوم ٢٢ أيار بحرقه وألم لأن ما فُرض علينا فيه كان مرمغة دمويةً واستنزافاً للقدرات. هو محفور في ذاكرتنا، حتى ولو توارى ظلمه عنا والطغيان. أنه يوم أسود ومشؤوم طعننا فيه الجارية بخاصرتنا، وخصرتها هي رخوة ومستمرة في "هررتها". حصيلة الاتفاقيات الفاجرة لخصها التيار الوطني الحر: "كرامة وطنية منتهكة واستقلال مفقود. جيش سوري متمركز في محيط القصر الجمهوري ووزارة الدفاع وفي حرم المدارس والجامعات. مؤسسات دستورية، سياسية وأمنية سلط عليها المحتل رجال منه فجعلوا من الجمهورية رهينة إدارته. انتخابات مزورة تقررها عنجر، قانوناً وتحالفات ونتائج. قهر وقمع وترهيب لا يوفر مواطناً صحفياً كان أو طالباً أو مهنياً. نخبة شباب لبنان تصطف بذل أمام أبواب السفارات. عمال لبنان ومهنيوه عاطلون عن العمل يسابقهم على لقمة عيشهم مئات الآلاف من العمال السوريين. مزارعو لبنان من عكار إلى البقاع إلى الجبل والجنوب يتلفون منتوجاتهم بفعل البضائع السورية المهربة عبر الحدود المشرعة. مليون ونصف مليون لبناني هُجروا فأصبح ثلث اللبنانيين في المغتربات والبقية ستلحق بهم. ماذا بعد، وإلى متى نغتال الوطن بالسكوت عن الجريمة؟

خلاصة القول: "الظلم إن دام دمر، والعدل إن دام عمر، فطوبى للعادلين والويل للظالمين".  
أخيراً تحضرنا معنى آية الكتاب: "قايين قايين، صوت دماء أخيك إليّ يصيح، ويشكوك من فجاج وأهل الأرض".

٢٠٠٤/٥/٢٥